هاج الجواد فمضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيمات

إنها أنفاس محترقة، وعصارة نفس حساسة، زخر بالشعور النبيل، وتجيش بالعواطف السامية

والشاعر الحجازي (أحمد العربي) ينظر فيرى الفقير في يوم العيد ذليلا حائرا لا يملك ما يشارك به القوم ليفرح كما يفرحون، فيتألم أشد الألم فيتمنى أن يصبح العيد وسيلة لعطف الأغنياء على الفقراء ليشيع السرور في الجميع فيقول:

ليت شعري متى يكون لنا عيـ ـد حقيق برمزه المكنون
فيشع الهناء في كل نفس ويواسي فؤاد كل حزين
قد، لعمري، أني لنا أن نرى العيد مشاعا وقرة للعيون

هذه بعض نفثات قطفتها لك من ثمر شعرائنا لتعرف كيف يحتفلون به كما يحتفل الأجانب بأعيادهم القومية، أعاد الله أمثال هذا العيد على الأمة الإسلامية بالخير وإقبال السعود

أسيوط عبد الودود عبد الحافظ

٩ - في الحديث المحمدي

للأستاذ محمود أبو رية

الإسرائيليات في الحديث:

لما قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها، وتحطمت أمامها كل قوة تنازعها، لم ير من كانوا يقفون أمامها، ويصدون عن سبيلها، إلا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والاحتيال، بعد أن عجزوا عن النيل منها بوسائل القوة والنزال

ولما كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، لأنهم يزعمهم شعب الله المختار، فلا يعترفون لأحد من غيرهم بفضل، ولا يقرون لنبي بعد موسى برسالة، فإن دهاتهم وأحبارهم لم يجدوا بدا بعد أن غلبوا على أمرهم وأخرجوا من ديارهم من أن يستعينوا بالمكر ويتوسلوا بالدهاء لكي يصلوا إلى ما يبتغون. فسول لهم المكر اليهودي بأن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم على دينهم، حتى يخفى كيدهم ويجوز على الناس مكرهم. وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء ومكرا كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سبأ فاستغلوا بإسلامهم، واندسوا بين المسلمين مظهرين عبادتهم وورعهم

ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت وأن المسلمين قد اعتزوا بهم وسكنوا إليهم، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم؛ وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التي قام عليها، ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وترهات، لكي تهي هذه الأصول وتضعف. ولما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لأنه قد حفظ بالكتابة والتدوين، واستظهره الكثير من المسلمين، وأنه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزاد فيه كلمة أو يتدسس إليه حرف — اتجهوا إلى السنة القولية فافتروا على النبي أحاديث لم تصدر عنه، وأعانهم على ذلك أن ما تحدث به النبي في حياته لم يكن محدود المعالم ولا محفوظ الأصول، وأن في استطاعة كل ذي هوى أو دخلة سيئة أن يتدسس إليه بالافتراء، ويسطو عليه بالكذب؛ ذلك بأنه لم يدون في عهد النبي كما دون القرآن، ولا كتبه أصحابه من بعده، وقد يسر لهم كيدهم أن وجدوا الصحابة يرجعون إليهم في معرفة ما يجهلون من أمور العالم الماضية والمستقبلة — واليهود بما لهم من كتاب وبما فيهم من علماء وأحبار يعتبرون أساتذة العرب الأميين فيما يجهلون

قال الحكيم ابن خلدون (١) في مقدمته عندما تكلم عن التفسير النقلي، وأنه يشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود: والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، ومعلومهم من غير الذين أخذوا بدين اليهود، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم.. وتساهل المفسرون في مثل ذلك

(١) ص ٤١٥ من المقدمة

وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات .. وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة

وقال ابن كثير في تفسيره (٢) « لما أسلم كعب في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه فربما استعمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده من غث وسمين »

ومن أجل ذلك كله أخذ أولئك الأحبار يبثون في الدين الإسلامي أكاذيب يزعمون مرة أنها في كتابهم ، ويدعون أخرى أنها من مكنون علمهم ، وما ذلك كله إلا من مفترياتهم . وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق والكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التي هي لغة كتبهم ، ومن جهة أخرى فإنهم أقل منهم دهاء وأضعف مكرا ، وراجت بذلك هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يبثه هؤلاء الدهاة بغير بحث ولا نقد ، معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه

وقبل أن نعرض لبيان هذه الإسرائيليات التي امتلأت بها كتب الحديث والتفسير والتاريخ نأتي بفذلكة صغيرة من تاريخ هؤلاء الأحبار الذين بثوا هذه الإسرائيليات ليكون القارئ على بينة منهم

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميري من آل رعين — وقيل من ذي الكلاع من اليمن ، كان من أحبار اليهود وعرف بكعب الأحبار ، أسلم في عهد عمر وسكن المدينة في خلافة عمر ثم تحول إلى الشام في زمن عثمان ومات بحمص سنة ٣٢ أو سنة ٣٤ هـ

وقد استصفاه معاوية وجعله من مستشاريه لكثرة علمه كما يقولون (٣) وأمره أن يقص . . وقال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ . . قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم — وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا

سبب إسلامه :

وضع كعب الأحبار لإسلامه سببا عجيبا ليتسلل به إلى عقول المسلمين ، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح عن سعيد بن المسيب قال : قال العباس لكعب : ما منعك أن تسلم في عهد النبي وأبي بكر ؟ فقال إن أبي كتب لي كتابا من التوراة فقال اعجل به ، وختم على سائر كتبه ، وأخذ علي يمين الوالد على الولد أن لا أفض الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبي غيب عني علما ففتحتها فإذا صفة محمد ! وأمته ! فجئت الآن مسلما !

وروى عن عبد الله بن عمر أن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب فقال له : إن فلانا الحبر اليهودي أرسلني إليك برسالة . . فقال كعب هاتها ! فقال الرجل : إنه يقول لك ، ألم تكن سيدا شريفا مطاعا ؟ فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة محمد؟ فقال له كعب : أتراك راجعا إليه ؟ قال نعم : قال إن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا ينفر منك ! وقل له يقول لك : أسألك بالذي فلق البحر لموسى وأسألك بالله الذي ألقى الألواح إلى موسى ابن عمران فيها علم كل شيء (٤) ألست تجد في كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاث أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ! وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ! وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحد ! فإنه سيقول لك نعم ! فقل له يقول لك كعب : اجعلني في أي الأثلاث شئت ! (٥)

وهب بن منبه :

قال المؤرخ جورجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي (٦) هو فارسي الأصل جاء جده إلى اليمن في جملة من بعثهم كسرى لنجدة اليمن على الحبشة ، فأقاموا هناك وتناسلوا ، وصاروا يعرفون بين العرب (بالأبناء) — أي أبناء الفرس ومنهم طاووس بن كيسان التابعي الشهير

وكان آباء وهب على دين الفرس (المجوسية أو الزردشتية) فلما أقاموا بين اليهود أخذوا عنهم بآداب اليهود وتقاليدهم فتعلموا شيئا من النصرانية . وكان يعرف اليونانية « وعنده من علم أهل

---

(٢) ص ١٧ ج ١

(٣) وكيف لا يوصف بكثرة العلم وقد قال لقيس بن خرشة ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة (رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل)

(٤) إذا كانت ألواح موسى فيها علم كل شيء فترى ماذا بقي من العلم لنبي أو رسول أو عالم يأتي بعده !

(٥) ص ٢٦٦ ج ١ حياة الحيوان

(٦) ص ٦٢ ج ٣

الكتاب شيء كثير » . وقد أدرك عدة من الصحابة وروى عنهم . ومن أقواله : إني قرأت من كتب الله ٧٠ كتابا ! ومن أجل ذلك كان المسلمين ثقة كبرى به

وقال الذهبي عنه في تذكرة الحفاظ: ولد سنة ٣٤ هـ روى عن أبي هريرة وعن عبد الله بن عمر وابن عباس وتوفي بصنعاء سنة ١١٠ هـ وقيل غير ذلك

كيف استحوذوا على عقول المسلمين

اتبع هؤلاء الأحبار بدهائهم العجيب طرقا غريبة لكي يستحوذوا بها على عقول المسلمين ويكونوا بذلك محل ثقتهم وموضع احترامهم . وإليك طرفا من هذه الأساليب الغريبة التي كانوا يتخذونها ليستولوا بها على عقول الصحابة فيركنوا إليهم ويثقوا بهم ويأخذوا عنهم

أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام وهو من كبار أحبار اليهود الذين أظهروا الإسلام . أنه مكتوب في التوراة في السطر الأول : محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام (٧) وهذا الذي أخرجه الترمذي عن ابن سلام قد أحكمه الداهية كعب ! فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أن الدارمي روى عن كعب في صفة النبي في التوراة قال : في السطر الأول محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام . وقد بحثنا عن السطر الثاني من هذه الأسطورة أو الخرافة حتى وجدناه في سنن الدارمي كذلك، ومصدره الداهية الأكبر كعب، ووجدنا للسطر الأول تكملة لم يأت بها عبد الله بن سلام، فقد روى ذكوان عن كعب قال في السطر الأول : محمد رسول الله عبدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام. وفي السطر الثاني : محمد رسول الله، أمته الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزل ، ويكبرون على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ويرضئون أطرافهم ، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل

وهذا الكلام قد أورده ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس في جواب لكعب، وذكره كذلك من عند نفسه أحد تلاميذ كعب: عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه البخاري عند ما سئل عن صفة النبي في التوراة

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام قال : مكتوب في التوراة صفة النبي وعيسى ابن مريم يدفن معه !

وروى الجواليقي في المعرب (٨) أن ابن الأعرابي ذكر عن كعب أنه قال : أسماء النبي في الكتب السالفة محمد وأحمد وحياط أي حامي الحرم ! وروى القاضي عياض في الشفاء (٩) أن وهب ابن منبه قال :

قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها : أن النبي أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا - وفي رواية أخرى — فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جانب عقله (ص) إلا كحبة رمل بين رمال الدنيا !

والذي أغرى كعب الأحبار بالرواية والاتساع فيها أن عمر كان في أول الأمر يستمع إليه (١٠) ثم توسع الناس في الأخذ عنه ، وبالغ هو — كما قال الحافظ بن كثير « في نقل ما نقل من الأشياء إلى كثير منها ما يساوي مداده » ولما تبين لعمر أنه كذاب منع الأخذ عنه ، ونهاه عن الرواية عن النبي، وأنذره إذا هو روى أن يعيده إلى بلده

النصورة الكلام صلة محمود أبو ريه

(٧) تخصيص الشام بالملك في كلام هؤلاء الأحبار إنما كان لأمر سياسي خطير سيأتيك نبأه بعد ، ولم يقف ذكر الشام وفضله على لسان دهاة اليهود فحسب ؛ بل (وضع) فيه كذلك رجال من المسلمين أحاديث كثيرة ورفعوها إلى النبي وألفوا في ذلك كتباً ، ومما وضعوه أن الأبدال ستظهر في الشام ...

(٨) ص ١٢٢ (٩) ص ٥٥ ج ١

(١٠) لما زعم كعب : أنه ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة، كان الصحابة يسألونه عن كل شيء حتى عن الشعر الذي هو ديوان العرب، فقد حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له عمر بن الخطاب — وقد ذكر الشعر — يا كعب : هل تجد للشعر ذكراً في التوراة ؟ قال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال ، لا تعلمهم إلا العرب ! (ص ٨ العمدة — لابن رشيق)